# المحاضرة الأولى: النص وبناؤه

## 1. نصانية النّص:

جدير بالذّكر أنّ الدّراسات اللّغوية المعاصرة لا يمكن أن تُغيّب الخلفية المفاهيمية (المعرفية) التّي أصّلها اللّساني فردينان دو سوسير (F , De Saussure) والذّي اهتم بالبنية اللّغوية مؤكّدا أنّ العلامة اللّغوية (Signe) لا قيمة لها في ذاتها بل في ترابطها مع قريناتها من العلامات اللّغوية الأخرى المخالفة لها والمجاورة.[1]

ولأنّ سوسير (Saussure) ركّز على البنية الدّاخلية للّغة المستقلّة عن الأسيقة الخارجية فإنّ باحثين بعده وسّعوا مجال الرّؤية بتنقيبهم في الماورائيات المتحكّمة في اتّساق النّص وانسجامه ذلك أنّه يُصاغ في سياق خاص، وهذا ما فعله مايكل هاليداي (Halliday) وغيره حيث توصّلوا إلى أنّ النّص ليس مجموعة من الجمل التّي تلي إحداها الأخرى كما أنّه ليس وحدة نحوية بل وحدة دلالية متّسقة منسجمة لأنّ الوحدة التي تميّز النّص هي وحدة معنى في سياق، كما أكّد (فيرث) في هذا المقام تأكيدا كبيرا على اتّساق النّظام اللّغوي وانسجام بنائه الدّاخلي بالخارجي لأنّ المعاني لا تنكشف من المفردات في ذواتها وإنّما من تسييقها، فأضاف أهمية الظروف والمواقف الخارجية المحيطة بالحدث الكلامي.[2]

لعلّ الصّورة المنهجيّة الّتي تتشكّل عن النّص، هي النّسيج الجملي المتّحد الّذي يوصل إلى معنى، حيث استُنبط هذا المفهوم؛ من "لسانيات النّص": التي تعنى بمعايير نصية النّص وأسسه، تجاوزا لما كانت تهتّم به الدراسات السّابقة ضمن لسانيات الجملة أو نحو الجملة، وحتّى عند علماء العربية القدامى كانت انطلاقة النحاة تتّجه صوب الاستشهاد بالجملة السليمة، وبالتدرج أصبح النّص هو المادة اللغوية التي يوجّه إليها المحلّل الساني آلياته الإجرائية. وبمفهوم مأخوذ من الفرع اللّساني السّباق ذكره، نجد أنّ النّص: بنية لغوية متكاملة وذات دلالة. ممّا يعني أنّ ذلك الكلّ المتّحد يشترط مجموعة من الرّوابط اللّفظية والمعنوية، لأنّه وحدة لغوية تعكس أبعادا دلالية، وبالتّالي دراسة بنائه تتمّ من زاويتين اثنتين، هما اللفظ والمعنى، تلقتيان في نقطة القرائن المشكّلة للنّص، والمحقّقة لنصيّته.

### 1.1 المعنى المعجمي للنّص:

وردت في معاجم اللّغة تعاريف كثيرة تتدرج في إظهار مفهوم "النّص" من العام إلى الخاص، فهو:

---

[1] فردينان دو سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص ص94، 97.
[2] علي زوين، منهج البحث اللّغوي، بين التراث وعلم اللّغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1896، ص94. ينظر أيضا: الأزهر زناد، نسيج النّص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، المركز العربي الثقافي، ط1، 1993، ص12.

- الرفع والإظهار كما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (نصص): "النّص: رفعُك الشيء. نص الحديث نصا: رفعه. وكلّ ما أُظهر فقد نُصّ، ومن ذلك (المنصة)"، وعينه ما نجده عند "الفيروز الآباداي" في "القاموس المحيط".
- أقصى الشيء ةغايته: ومنه نصّ الناقة أي استخرج أقصى سيرها، ونصُّ الشيء منتهاه.
- الاستقصاء وهو متّصل بالمعنى السّابق ومنه "نصّ الرّجل نصا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده".

وبالتأمّل في هذه المعاني، نجد أنّ النّص قد ارتبط بإظهار والاستقصاء، وهو ما يساعدنا على تقفي البعد المنهجي للنّص، في كونه إظهار دلالة النّص واستقصاء فهمه من بدايته إلى منتهاه.

## 2.1 المعنى الإجرائي للنّص:

سيكون مفيدا البدء بالدّراسة التي قدّمها الباحث "الأزهر الزناد" حول: "نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا"، فهو بحثٌ كثيرا ما يستحضر في اجتهادات المهتمين بهذا الموضوع، ومن أهم نتائجه العلمية: أنّ الملفوظ لن يكتمل نصّا حتّى تترابط أجزاؤه بواسطة الرّوابط الإحالية المحقّقة للتّعادل اللّغوي والدّلالي معا، بحيث تجعله في توازٍ وتوازن بين عاملي التّركيب والزّمن، فقد درس الروابط اللفظية والمعنوية وكذا الروابط الزمنية والإحالية. وهو ما يجعلنا نصف "النّص" بأنّه نسيج من العناصر اللغوية والمعنوية لأنّها تجعل التراكيب المشكّلة له في اتساق وانسجام محكم يصعب الاخلال بموقعها أو تغيير ترتيبها،فبها يتحقّق بناء النّص وتكتمل أوصافه.

يقول حول دور أدوات الربط في النّص: "يُنجز النّص عند التلفظ به ويتّخذ حيّزا يكون به كائنا مستقلا بنفسه فيحل بذلك في الزمان وفي المكان؛ وهو من حيث هو علامات دالة كائن مركب وحداته جمل، لا يدركه الفكر إلا منظما أو مرتبا structuré، والترتيب الأوّل هو ما تفرضه خطية الخطاب، إذ ترد جمله في تتابع قسري لا مهرب منه؛ فهذا هذا" (ص42) إذا يفيدنا هذا الرّأي في فهم أنّ النّص ملفوظ محكم الانتظام والترتيب، العلامات اللغوية فيه ترد ضمن جمل متتابعة وفق استراتيجية يصعب تبديلها، هي استراتيجية الربط الخطي الذي تتبع فيه النقطة قريناتها.

3.1 البنية السطحية والبنية العميقة:

نجد تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية قد اهتم بالنص وبعده الدلالي من خلال القدرة على إنتاج أكبر قدر من الجمل من قبل المتكلّم المثالي الذّي يُحيط بالنظام اللّغوي لمجتمعه، بيد أنّ التوليديين لا يهتمون بالسّياق ويجعلون البنية العميقة والبنية السطحية هي كل شيء في إمداد الجملة بالمعنى ويركزون أكثر على البنية العميقة اعتبارا أنّ البنية الخارجية للجملة وظاهر اللّفظ ليس كل شيء في المعنى، ذلك أنّ معنى الجملة يتحدّد على مستوى أعمق من التّركيب الخارجي، فالبنية الداخلية تتحول إلى البنية الخارجية فقط عند المتكلم تلفظ بها وتصبح في ذهن المتلقي نتيجة تطبيق قواعد لغوية تسمى القواعد التّحويلية حينما يحدث لبعض العناصر اللّغوية تحويلات كإضافة عناصر أخرى أو حذفها، والسبب في ذلك أنّ التحويليين يريدون دراسة اللّغة دراسة علمية قائمة على اللّغة ذاتها، لهذا تجدهم يهملون سياق غير اللغوي ليس لعدم أهميته في تحديد المعنى بل لأنّ هذا العنصر بالنسبة لهم يُضيف صعوبة لمنهج التّحليل اللّغوي المنظّم، وهذا الجانب من التّحليل يُترك لفئة أخرى من علماء اللّغة هم الباحثون في الجانب الاجتماعي منها.[3]

وبنية القواعد التّوليدية التحويلية مركّبة من من المكوّن الفونولوجي والمكوّن التركيبي والمكوّن الدلالي، "ويعتبر المكوّن التركيبي هو المكون التّوليدي الوحيد أي المكوّن الذي يتناول في ما يتناوله البنية العميقة للجمل ويعدد عناصرها المؤلفة في حين أنّ المكونين الآخرين تفسيريان، فبعد أن يُثبِّت المكوّن التركيبي في الجمل، يُفسّر المكوّن الدلالي معاني هذه البنى ويفسّر المكوّن الفونولوجي أصواتها" الألسنية التوليدية"[4]. ومعلوم أنّ تشومسكي في صياغته للقواعد التوليدية التحويلية قد اهتم بالمتّحدث المثالي ideal speaker المفترَض الذي يُخزّن نظام اللغة كاملا في ذهنه ويكون قادرا على إنتاج وتوليد عدد لا متناهي من الجمل السّليمة لغويا والموافقة لنظام اللّغة وقواعده.

## 3.1 الاتساق والانسجام:

انطلاقا من هذا، وُضع مصطلح الاتّساق (Cohésion) ليدلّ في اللّغة على اجتماع الشيء وانضمامه وانتظامه، وفي الاصطلاح يدلّ على كلّ العناصر اللّغوية التي تجعل من الخطاب الملفوظ أو المكتوب منتوجا مكتملاً متماسك الأجزاء ومنسبكا في ألفاظ وجمل متتالية بشكل خطي أفقي لها نسيجها الخاص وبُناها التّركيبية و النّحوية والصّرفية والدّلالية القائمة في شكل جمل تلعب دورا

[3] يُنظر محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص52.

[4] ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1986، ص15.

محوريا في تكوين نص باعتباره وحدة دلالية هادفة في إطار سياق داخلي وخارجي. كما وُضع مصطلح الانسجام (La cohérence) ليدلّ في اللّغة على ضم الشيء إلى الشيء، وفي الاصطلاح يدلّ على مجموع الآليات الظّاهرة والخفيّة التّي تجعل قارئ نصٍ ما قادرا على فهمه وتأويله.

وإذا كان ذلك كذلك، فإنّ الاتساق كما أمعنا هو التّماسك الحاصل بين تراكيب النّص، وذلك بوساطة وسائل لغوية تصل بينها لتعبّر في النّهاية عن دلالة ( كالضمائر، الحروف (الجر، العطف،،) التّكرار، الحذف، التّناص،،،), وإن كانت تلك العناصر تحقّق الاتّساق الظّاهري للنّص فإنّ الإحالة على الأسيقة الخارجية هي التّي تحقّق انسجامه الكلّي من خلال اتّساقه الدّلالي، وهي إشارة لمفهوم الإحالة على العلاقات المعنوية واللّغوية الحاصلة داخل عالم النّص وخارجه، ولعلّ ذلك هو المانح لصفة النّصانية.[5]

## المحاضرة الثانية: السياق

يعدّ "السّياق context" أحد أهم مباحث علم الدّلالة الحديث إذ يعتمد عليه في تحديد المعنى الدّقيق للكلمات والتراكيب، ذلك أنّ تحليل أي نسيج لغوي يفرض الإحاطة ولو نسبيا بالمرجعيات المعرفية الثقافية خصوصا وأنّ اللّغة نظام بطبيعة مؤسسة، أي أنّه يُنتج في بيئة ثقافية خاصة واستحضاره يعد هاما لدى الباحثين كونه قرينة أساسية للترجيح بين المعاني، فلو احتملت الكلمة معنيين أو أكثر احتكم إليه كي يفصل في اللبس، ومن ثمّ اعتبر السّياق هو العمدة في علم المعنى والحجر الأساس في فهم النظام اللغوي الثقافي .

وهذا يدل على أنّ "معظم الكلمات في اللغة متضمنة في سياقات خاصة معينة، ولكن ذلك لا يمنع من وجود كلمات تفتقر غلى دعم سياقي تستوقف المرء للتساؤل عن معانيها المحددة"[6]، والإجابة عن هذا التساؤل يفرض الإحاطة بالظروف الخارجية المحيطة بهذه الكلمات ذلك أنّ الكلمة تحمل معنى معجميا وآخر وظيفيا فالمفردة اللغوية لا تفهم منعزلة عن السياق، ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها "[7]، وفي هذا توضيح

---

[5] ينظر: فايز الكرمي، تحليل البنية النّصية من منظور علم لغة النّص، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد25، 2011، ص208.

[6] علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص94.

[7] أحمد مختار، علم الدلالة ص ص68، 69.

لمعنى السياق اللّغوي فالوحدات اللغوية لا يكون لها معنى إلا إذا وُضعت في سياق لغوي ملائم تتّحد فيه مع بعضها البعض.

وفي هذه النقطة يشير الباحث "تمّام حسّان" إلى " أنّ الكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق وهذا هو المقصود بوصف الكلمة في المعجم بأنّها (مفردات)، على حين لا توصف بهذا الوصف وهي في النص، حاشا بعد استخراجها منه لتحديد معناها المناسب، وإن تعدّد معنى الكلمة في المعجم يرجع إلى صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق وثبوت ذلك لها بسبق استعمالها في نصوص عربية قديمة وحديثة، ومن صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق يأتي تعدد معناها واحتماله في حالة الإفراد"[8]. إنّ هذا الرأي يفتح لنا المجال للحديث عن المعنى المعجمي والمعنى السياقي ذلك أنّ العرف الاجتماعي جعل الألفاظ تحمل معاني مركزية مشتركة بين أفراد المجتمع في حال انعزالها عن التركيبة اللّغوية تبقى محتفظة بنفس المعنى لأنّ الاتفاق الاجتماعي ضبط ذلك،

كما يوضّح الباحث "علي زوين" الفرق بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي قائلا: "للسياق أهمية كبيرة في تحديد المعنى وتوجيهه، ومعظم الكلمات من حيث المفهوم المعجمي دالة على أكثر من معنى واحد، فالذّي يحدّد هذه المعاني ويفصلها هو السّياق في مورد النّص، لذلك نلاحظ أنّ اللّغويين يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنّه متعدد ويحتمل أكثر من معنىً واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنّه واحد لا يحتمل غير معنى واحد"[9]، وهنا توضيح بارز لأهمية السّياق في قدرته على تحديد المعنى وما المشترك اللفظي إلا ظاهرة سياقية معجمية ذلك أنّه مهما تعدّدت معاني الكلمة يفرض السياق معنى واحدا ووظيفة واحد تؤديها.

كما نجد في حالات أخرى يتعدد المعنى المعجمي بحكم رحلتها الزمنية وتغيّر الاستعمال الاجتماعي لها ويبقى الدور الصارم للسياق كي يكسبها معنى واحدا، يضرب لنا الباحث "تمام حسان" مثالا " تعدد المعنى المعجمي لكلمة (ردح) إذا كان لها معنيان، وكان للردحة معنيان أيضا، وللرداح ثمانية معانٍ مختلفة، وكل واحدة من المعاني المتعددة للكلمة المفردة يظل محتملا للقصد حتى ترد الكلمة في سياق

[8] اللغة العربية معناها ومبناها، ص ص323، 324.

[9] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص185.

فيكون لها معنى واحدا"[10]، لذا لزاما أن ينظر إلى المعنى من ناحية وظيفته السياقية ذلك أنّ للكلمة معنى مخصوص.

إنّ الوصول إلى المعنى الدلالي يكون بالتّحليل اللّغوي للمستويات المختلفة إضافة إلى المعجم، فمن تلك المستويات الصوتية والصرفية والنحوية يتجلى لنا المعنى الوظيفي الذي يربط بينها ثم المعنى المعجمي المعبر عنه بالعلاقات العرفية بين الكلمة ومعناها، ومن هذين المعنيين نصل إلى المعنى الدلالي، يقول "تمّام حسّان" موضّحا بدقة: "الحقائق التي نصل إليها بواسطة التّحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة للمعنى الدلالي، ذلك بأنّ هذه الحقائق إمّا أن تكون وظائف (كما في الصوتيات والصرف والنحو) أو علاقات عرفية اعتباطية (كما في المعجم)، فالوظائف تتضح كما سبق نتيجة للتحليل على المستويات الثلاثة الأولى أمّا العلاقات العرفية الاعتباطية التي ذكرناها فالمقصود بها العلاقات بين المفردات وبين معانيها"[11].

كما يؤكّد الباحث "علي زوين" أنّ المعنى الدلالي لا يكتفي بمعنى المقال مهما توفّرت القرائن لأنّ هذه القرائن اللّفظية لا تغني عن القرائن المقامية الحالية، لذلك المعنى الدّلالي بالنّسبة له لن يتحقق بمجرد النظر في النسيج اللّغوي وتحليله بل علاقته كذلك بالمعطيات الخارجية، ومن ثمّ عملية الوصف الدّلالي تتضمن استنتاجات تبعا لطبيعة اللّغة الموصوفة ذلك لأن كل مجتمع نظامه اللغوي الخاص سواء بالنظر إلى مرحلتها الزمانية أو في مراحلها المختلفة[12]، ويوضّح "تمّام حسّان" معنى المقال والمقام بقوله: "وفكرة "المقام" هذه هي المركز الذّي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء "المقال". ومن المعروف إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي، الصرفي ، النحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلّا معنى "المقال" أو "المعنى الحرفي" كما يسميه النقاد "أو معنى ظاهر النص" كما يسميه الأصوليون وهو –مع الاعتذار الشديد للظاهرية- معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي والتاريخي منعزل تماما عن

[10] اللغة العربية معناها ومبناها، ص332.

[11] اللغة العربية معناها ومبناها، ص341

[12] ينظر: علي زوين، منهج البحث اللغوي، ص 92

كل ما يحيط بالنّص من القرائن الحالية التي تشبه ما يسمونه بالمرافعات circumstantial evidence وهي القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى"[13].

## المحاضرة الثالثة: أنواع السياق

وقد أدرج "أحمد مختار عمر" تقسيما رباعيا للسياق وضعه k.Ammer تكفّل بشرحها برؤية موضوعية دقيقة، يشمل هذا التقسيم:

1. السياق اللغوي: Linguistic context
2. السياق العاطفي:emotional context
3. سياق الموقف:situation context
4. السياق الثقافي:cultural context.[14]

يعبّر السياق اللغوي عن ارتباط الوحدات الدّلالية مع بعضها البعض ذلك أنّه لا يمكن كشف الواحدة منها دون ملاحظة ارتباطها بالوحدات الأخرى" ومن أجل تركيزهم على السّياقات اللّغوية التي ترد فيها الكلمة وأهمية البحث عن ارتباطات بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفه"[15] وهذا يعني أنّ السّياق اللغوي يعبّر عن الجانب اللّغوي الدّاخلي والتّركيز على القواعد التركيبيّة والعلاقات مابين الكلمات باعتبارها أساس بناء الجملة أو النّص وبالتّالي اختلاف المعنى يكون بالنظر إلى اختلاف توزيع الكلمات وإبدال بعضها مكان بعض.

أمّا السّياق العاطفي فيحدّد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا فكلمة (يكره) العربية غير كلمة (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى، في حين يعني سياق الموقف، الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة مثل استعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميت العاطس "يرحمك الله" (البدء بالفعل)، وفي مقام الترحم بعد الموت: "الله يرحم" (البدء بالاسم) فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دلّ على هذا السياق الموقف إلى جانب السّياق اللّغوي المتمثل في التقديم والتأخير.وأمّا السياق الثقافي فيقتضي تحديد المحيط الثقافي

---

[13] اللغة العربية معناها مبناها، ص ص 337، 338.

[14] علم الدلالة، ص69.

[15] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص69.

أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فكلمة "عقيلته" تعدّ في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميّزة بالنسبة لكلمة "زوجته" مثلا[16].

وإن كان K.Ammer قد قسّم السياق إلى ما تمّ ذكره فإنّ بعض الباحثين يكتفون بالتقسيم الثنائي له أي السياق اللغوي والسياق غير اللغوي بين المقال والمقال أو الظروف الخارجية التي تركّب فيها المفردة أو الجملة أو النظام اللغوي عامة.[17]

إنّ النظام اللّغوي يتبلور داخل بيئة اجتماعية تحكمها تركيبة معرفية وثقافية خاصة، فاللغة تنمو وتتطور داخل هذا الإطار وقد تموت كما الكائن الحي وفي هذه الرحلة تحمل السّمات الثّقافية والفكرية لتلك الأمّة لتعبّر بطريقتها الخاصة عن تصوّرها للعالم، "فالثقافة ليست هي المجال الأكثر عمقا بالنسبة لمجتمع ما فحسب، بل إنّها تمثل أيضا المجال الأكثر ارتفاعا وفعالية، ومن ثمّ تعد الثقافة سمة أساسية لصيرورات المجتمع المعقدة والمتداخلة، ونحن نستنبط بواسطتها الأوامر والضوابط والنواهي والمعاني من العبارات اللغوية المتداولة على لسان الجماعة"[18]، والفرد بطبيعته يتأثر بالظواهر اللغوية لكنه في تواصله لا ينقل النظام اللغوي الاجتماعي كاملا إنّما يوظف مقولات فردية ويعبّر بأساليب خاصة وفق ما يقتضيه سياق الحال إذ هناك خلفيات ومواقف تحيط بالحدث الكلامي حسب مقاصد المتلفظ.

---

[16] ينظر: المرجع نفسه، ص71.

[17] ينظر: صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية، ص382.

[18] عبد الفتاح احمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص47.